على نقص أو تمام على نوع أو نوع على نوع علمنا بمقتضى الدليل
الشرعي وأما غير ذلك فلا سبيل إليه لأنه لا استقلال
للعقل في الأحكام الشرعية لا سيما في فضائل الأعمال فإنها
ترجع في الحقيقة إلى مقادير الثواب والعقاب أو إلى
تفاوت القرب الإلهي ولا مجال للعقل في ذلك وقد يعرض
لبعضها ما يقتضي أن يعطى نوعا من الأجر في الآخرة لا يحصل
لغيره ويكون ما فعله غيره أفضل مما فعله كما ورد أن
الصائمين يدخلون الجنة من باب الريان لا يدخل منه
غيرهم كرامة لهم مع أن في العبادات ما هو أفضل من الصيام
وقد يكون الأجر على العمل بحسب فضله على غيره ذكره وفقه
الله بوقته بها وقد ورد في أعمال خاصة وعود بأجور
لم يرد مثلها على غيرها إلا وقد ورد تخصيص بعض الأعمال
المفضولة بنوع من الأجر لم يحصل على العمل الفاضل مثاله
ما روى أبو موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه
وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق
الله تعالى وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها
فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها
وتزوجها فله أجران وكان في الصحابة جماعة آمنوا
بأنبيائهم وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أن غيرهم
من الصحابة أفضل منهم واختص هؤلاء بأنهم أجرين

وبان

وبأن يؤتوا أجرهم مرتين وكذلك العبد المملوك والمتزوج
عتيقته وكما ورد في أجر الشهيد من الحياة بعد الموت
وكذلك كثير من الخصائص وهذه الخصوصيات لم يحصل
لغيرهم فثبت أن الدرجات تتفاوت تارة بحسب
تفاوت الأعمال وتارة بحسب خصوصية عمل خاص
أو وقت خاص فإذا أردنا الكلام في تفضيل مرتبة على
مرتبة أو عمل على عمل فلا بد من ملاحظة ذلك فما لم يكن
فيه نص بتفضيل فيحتاج إلى الاجتهاد في جهات الترجيح
وأما ما ورد النص بكونه أفضل من شيء آخر من غير معارض
فلا معدل عن المنصوص عليه ولا حاكم سوى شريعة
الله المأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما العلم
فهو فضيلة في ذاته وشرف للذات المتصفة به كيف
ما كان هو خير من الجهل على كل حال لكن هذا الفضل والذي
يشير إليه عقلي وأما فضل العلم من جهة الشرع فإنما
كان لكونه قربة إلى الله تعالى مقتضيا للثواب
وموجبا للخشية وسببا إلى المعرفة أو معرفة شريعته
أو الفهم عنه أو فهم كلامه أو هداية ضال أو إرشاد
مسترشد وكل واحد من هذه الأمور فضيلة بحسب
متعلقه وما يترتب عليه من الخير في الدنيا والآخرة
وعلم لا يؤدي إلى مقصود شرعي فليس هو العلم النافع
الذي به يتحقق العام التفضيل الشرعي والعلوم

Copyright © King Saud University